



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صمام الأمان لهذه الأمة، وسفينة نجاتها، ودليل نجاحها، وشعار فلاحها، ما تركه قوم إلا ضربهم الله بالذل، وفشت فيهم الفاحشة، وانتشرت فيهم الرذيلة، وردت دعواتهم، ونزعـت برـكاتـهـمـ، وـتـسـلـطـ عـلـيـهـمـ أـعـادـهـمـ.

هذه الفريضة الضائعة، والشعاـرةـ الغـائـبةـ يـنـبـغـيـ التـسـوـيـقـ لـهـاـ وـالـحـثـ عـلـيـهـاـ، وـإـفـشـائـهـاـ بـيـنـ النـاسـ، حـتـىـ تـكـوـنـ عـادـةـ وـسـلـوكـاـ لـلـجـمـيعـ، فـحـاجـةـ الـخـلـقـ إـلـيـهـاـ فـيـ دـيـنـهـمـ وـدـنـيـاهـمـ أـشـدـ مـنـ حـاجـتـهـمـ إـلـىـ الـطـعـامـ وـالـشـرـابـ لـأـنـهـاـ هـيـ وـالـعـلـمـ وـسـيـلـتـانـ إـلـىـ الـهـدـىـ.

قال الحسن: (مرروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر وإنكم انتم الموعظات) أي يوعظكم لما يحل بكم من سخط الله ولعنته بسبب إهمال هذا الأصل.

قال ابن تيمية: (وكل بشر على وجه الأرض فلا بد له من أمر ونهي، حتى لو أنه وحده، لكان أن يأمر نفسه وينهاها، إما معروف وإما بمنكر) [مجموع الفتاوى ج 168/28].

خيرية هذه الأمة مشروطة بالتزامها بالأمر والنهي: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" [سورة آل عمران: 110].

وترك الأمر والنهي سبب للعنة والطرد من رحمة الله: "الْعِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَافُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۝ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَّهَمُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ ۝ لِبِسْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" [سورة المائدة: 78 - 79].

هذه الشعيرة لها شروط، فلا يحل لأحد أن يأمر أو ينهى إلا إذا توفرت فيه هذه الشروط، ولهذا قال سفيان الثوري: (لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، إلا من كان فيه ثلث خصال: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى).

فالفرق ما دخل شيئاً إلا زانه، ولا فارق شيئاً إلا شانه.

فجاجة الأمر الناهي إلى الرفق والتلطف والمداراة لا تدانيها حاجة، سيما المسلم المستور الحال، أما المبتدع المجاهر ببدعته الداعي لها وكذلك الفاسق فهو لاء لا حرمة لهم ولا كرامة.

قال الإمام أحمد: (الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلطة إلا رجل معلن بالفسق فإنه لا حرمة له).

لقد أمر الله عز وجل بإلإنة القول للطغاة حيث وصى الله موسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون قائلاً: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" [سورة طه: 44]. وقال تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۝ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلْتُمُ إِلَيْكُمْ ۝ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ۝ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" [سورة العنكبوت: 46].

فمن باب أولى وبالأحرى الرفق بأخوة العقيدة، ورفقاء الدرب. ينبغي للأمر الناهي أن يتوقع أن يقابل في أحياناً كثيرة بالصد والرفض والعناد، وربما بالسب والضرب، فعليه أن يتسلح بالصبر وأن يحتسب ذلك عند الله. فهو مأجور مثاب إن شاء الله، إذا حسنت نيتها، وصدقتك سريرته، قبل أمره أم رد عليه. وأن يستصحب دائماً قوله عز من قائل: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۝ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَذْنَى الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاؤَةٌ كَانَهُ وَلَيْ حَمِيمٌ" [سورة فصلت: 34]. وقوله تعالى: "وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ۝ وَلِئَلَّكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ" [سورة الرعد: 22]. قال بعض السلف في تأويلها: (هو الرجل يسبه الرجل، فيقول له: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك).

وعلى الأمر الناهي أن يقتدي ويتأسى في هذا الأمر وغيره برسوله الكريم، وصحبه الغر الميامين، وبالسلف الصالحين، والخلف الفالحين، ويتشبه بهم فإن التشبه بهم فلاح ونجاح ومعين على الصبر والاحتساب: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" [سورة الأحزاب: 21].

وإليك هذه النماذج لمقابلة الإساءة بالإحسان، والصد والاستنكاف بالصفح والغفران، وفي إلإنة الكلام، وفي الرفق والتلطف بأخوة الإيمان. [انظر مجموع رسائل ابن رجب ج 4/45 والصفحات التي تليها].

كان أصحاب ابن مسعود إذا رأوا قوماً على ما يكره يقولون لهم: مهلاً، مهلاً، بارك الله فيكم.

ورأى بعض السلف رجلاً واقفاً مع امرأة فقال لها: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكم.

وقال أحد السلف: ما أغضبت أحداً فقبل منك.

وقال سفيان بن عيينة: ينبغي لمن نصح ألا يعنف، ولمن نُصح ألا يستنكف.

ورأى الفضيل بن عياض رجلاً يعبث في صلاته فزبره - زجره - فقال له الرجل: يا هذا! ينبغي لمن يقوم لله أن يكون ذليلاً. فبكى الفضيل وقال له: صدقت.

ودُعِيَ الحسن إلى دعوة، فجيء بآنية فضة فيها حلواء، فأخذ الحسن الحلواء فقلبها على رغيف، وأكل منها، فقال بعض الحاضرين: هذا نهي في سكون.

وقال شعيب بن حرب: ربما مر سفيان الثوري بقوم يلعبون بالشطرنج، فيقول: ما يصنع هؤلاء؟ فيقال له: يا أبا عبدالله ينظرون في كتاب فيطاطئ رأسه ويمضي، وإنما يريد بذلك ليعلم أنه قد أنكر.

وكان كثير من السلف لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا سرًا فيما بينه وبين من يأمره أو ينهاه. قالت أم الدرداء رضي الله عنها: من عظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن ععظه علانية فقد شانه.

وقال رجل لسالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهم وقد زحمت راحلته في سفر: ما أراك إلا رجل سوء. فقال له سالم: ما أراك أبعدت.

وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي! قال: متى عرفت اسمي؟ ما عرفه أحد من أهل البصرة غيرك.

ومر بعضهم على صبيان يلعبون بجوز، فوطئ على بعض الجوز بغير اختياره فكسره، فقال له الصبي: يا شيخ النار! فجلس الشيخ يبكي ويقول: ما عرفني غيره.

ومر بعضهم مع أصحابه في طريق فرموا عليهم رماداً، فقال الشيخ لأصحابه: من يستحق النار فصالحوه على الرماد. يعني فهو رابح.

ورأى جندي إبراهيم بن أدهم خارج البلد فسأله عن العمran فأشار إلى القبور، فضرب رأسه ومضى، فقيل له: إنه إبراهيم ابن أدهم! فرجع يعتذر إليه. فقال له إبراهيم: الرأس الذي يحتاج إلى اعتذارك تركته يبلغ.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهم أنه كان ينشد: **بُنِي إِنَّ الْبَرَ شَيْءٌ هَيْنَ** *** وجه طليق وكلام لين

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والعمال لا يهدي إلى أحسنها إلا أنت، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على صاحب الخلق العظيم، والهدي المستقيم، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

رابطة علماء المسلمين

المصادر: